

مکتب



مدینه منوره



۱۱۱۷
۲۴۲

مدينة من قراب

الغلاف : حسين مامون شريف – الصور : ابراهيم الصلحي – الخط : عمر شبر

مَرْزُوقٌ نَزْلُ

على الملك

الناشرون :

دار التأليف والترجمة والنشر
جامعة الخرطوم

حقوق النشر محفوظة للمؤلف
الطبعة الاولى
اغسطس ١٩٧٤

الطابعون :

دار الطباعة
دار التأليف والترجمة والنشر
جامعة الخرطوم

تدبيرُ ربِّي عظيم
ففي مدينتي ..
تموتُ السلاحفُ في ليالٍ تسع
والبعوضُ يحيا دهورا ..

بے باجو نورو

سوف أتكلم عن أشياء كثيرة فيك وعنك ..
هذا الزقاق مثلاً ..

هناك مئات مثله أزقة ..

ليس طويلاً عريضاً فيسميه الناس باسم معين ..

وليس مشهوراً كزقاق (العردية) ..

ولا ذاك الزقاق المَعْرَف بالالف واللام ..

ولكنه زقاق والسلام ..

* * *

لو أشبه نهيراً صغيراً نصب في الشارع الكبير ، الذي هو كالبحر ..

حيثانه الناس وأمواجه الناس ..

ولم يزد منذ أن خطط (التُرك) المدينة بسلاحهم عن كونه زُقاقاً

وكل فضله — الزقاق — أنه قريب من السوق
لو دخلته أفضى بك إلى السوق
ولو لم تسر فيه صرت أيضا إلى السوق
وليت العائدين من السوق أهملوه
ليتهم تركوا عادة التبول فوق جدرانها مما يجعلها تسيل
بدموع الملح والسكر والبوتاس ، وينتشر النمل جيوشا على أرضه ..
ولتشم رائحته حين يزنق الصيف ..

* * *

ثلاثة وقفوا عنده يتحاورون ..
كانوا فى السينما الحفلة الأخيرة ..
وجاءوا كأنهم مدعوون للتبول ..
قال الأول : لو لم يمت البطل لكان الفيلم عظيما ..
وقال الثانى : أما أنا فقد نمت طويلا ..
وقال الثالث : أجمل ما فى الفيلم الجياد ..

وضحك الثلاثة وأفرغوا ما بأجوافهم ..
وساروا نحو أبي روف ..

* * *

لو كان نهيراً صغيراً لصب في الشارع الزقاق ..
الشارع البحر ، حيتانه الناس ، وأمواجه الناس ..
ولتشم رائحته حين يزلق الصنيف ..



الصباح رباح ..
 « صباحات الله بي خيرن » ..
 سمعتها تقول ..
 العزيرة جارتنا ..
 جارتنا الصابرة ..
 الفقيرة جارتنا ..
 كانت تحدث ابنها الصغير ..
 الجالس على حجرها ..
 يبكي جائعا ..
 وقد اشم في هواء الحى رائحة شواء ..
 ورائحة لحم تعذبه النيران ..
 فغاصت بطنه في ظهره من جوع ..

ومن الجوع ما يؤلم حقاً ..
إصبر ..

الصباح رباح ..

« صباحات الله بي خيرن »

ولم يُبَدِّ اقتناعاً ..

صنعتة وقد يسكت المرء حين يصفع ..

وقد يدير خده الأيسر ..

وبكى حتى شبع دمعاً ..

ونام ..

الصباح رباح ..

الصباح رباح ..

الصباح رباح ..

قصدتُ دار طوب الأرض في مدينة التراب ..
أردتُ أن أشكو لطوب الأرض سوء حالتى
وحيثما وصلت ..
سألتُ أهل الدار : أين طوب الأرض ؟
قالوا : ذهب يشكو سوء حاله لطوب السما ..

يزوركم غداً ملكٌ واق الواق ..
 يجوس في أسواقكم ..
 يدخل بيت الخليفة .. وجامع الخليفة ..
 يخرج للصيد في صحرائكم ..
 فاستقبلوه ..
 وافرحوا لمقدمه ..
 ثم اكرموه فهو ضيفكم ..
 وحينما يغادر البلاد ..
 انزعوا لافتات الترحيب من على الجدران ..
 واصنعوا منها مآزر وسراويل وأكفانا ..
 واستعدوا ..
 بعد غد يأتي اليكم ملك دولة اهل يد ..

هاتوا مآزر كم وسراويلكم وأكفانكم ..
واكتبوا عليها : حلات أهلاً ..
نزلت سهلاً ..
وافرحوا لمقدمه ..
فهو لن يأخذ شيئاً منكم ..
سوى ريش نعام ذكر حر بالغ ..
وبعض السنة العصافير ..
وغصن أبنوس ..
وسبعة أرتال من ضوء الشمس ..
ينشئ بها مزرعة للدفع والضياء في بلاده الجذباء ..
واعلموا أن الحياة رائعة ..
أليس جميلاً ان تدخلوا السعادة في قلوب ملوك الأرض ؟

لم أسمعوك (ماهر) المقامر ؟
سألته ..

قال : لأنني غَنِمْتُ امرأة
وبعت داري .. !!

رياض مُونِقَة " كلماتي
 كلماتي جِنَان " غسقة ..
 فلتجمعها يا قلم البوص ..
 ولتشرب من دواة عمار حتى تشمل ..
 كلماتي كالأزهار ..
 تفوح أريجاً ..
 إذ يعصرها الصيف الحراق
 فلتجمعها يا قلم البوص ..
 فإني الليلة أنوى أن أكتب عن سيد أحمد
 بائع لبن كان ..
 اللبن الغارق في الماء ..
 يا سيد أحمد :

أنت الصادق وحدك
ونحن الكذابون ..
أنا وشيخ الحارة ، والعمدة
فلتجمع كلماتي يا قلم البوص
فاني أنوى أن أتحدث عن طاقة منسج
على رأس عريس تتألق ..
وعن « عيشة » ست الطعمية
وعن جبران اليمنى ..
وعن قدرة فول تتلظى بالخطب العطشان
وعن الصبية فى مدرسة الحى
ج ح خ د ك ل م ن
ولتذكر موسى الثرثار
وابراهيم الفرجة *
وعيسى اليابس مثل العود ..
ولا تنس اسحق الضاحك

* الفرجة : من لا يكتف السر .

ومعلمنا شيخ البشرى ..
شيخ البشرى كان
صه !!
قم للمعلم

مثل ضب أنا أخاف الماء ..
 ومثل مسعور أنا
 أخاف الماء
 وحين هطلت الأمطار ..
 ألقوا بجثتي في حور ماء آسن
 وعندها أدركتُ أنني هلكت مرتين ..

* الضب تطلق في السودان على الودق

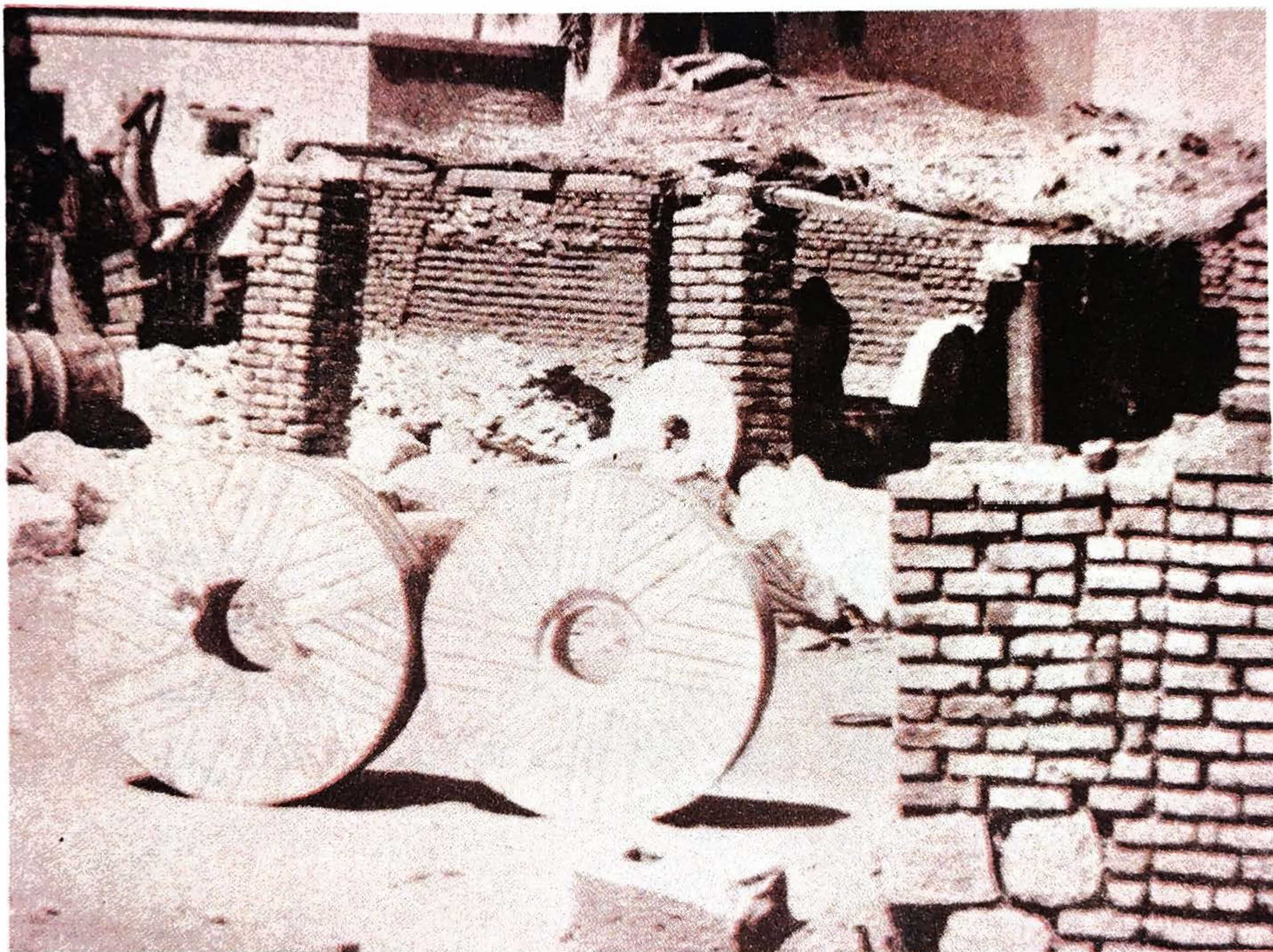
شلوخه المطارق أغنية
 عيانه
 أغنية
 عمامته

وصوته المجروح بالعذاب أغنية
 يطل وجهه على زجاجة عطر
 بعض طيب امرأة
 رقاصة وسمحة ولينة
 وبيتها فى الموردة
 أو فى حى العرب .
 صورته بجوف كل الأفئدة
 وصوته من اسطوانة مشروخة يهل
 فى (قهوة) بسوق أمدرمان

(يا نسائم الليل زيديني
يا جوهر صدر المحافل
تتنفس ناس ورياض وبحار
الجرحو نوسر بي
الليلة هوى يا ليلي)
و حين مات .. كانت بحيرة الدم على فراشه
أغنية لم تم ..
كرومة .. »

• ما بين القوسين من أغنيات كرومة .

العز لمين ؟
 للجزارين ..
 العز لمين ؟
 للنجارين ..
 العز لمين ؟
 للخراطين ..
 العز لكم جميعاً
 صيامكم غدا
 يا من تُنفِقون العمر كله صياما





يا زائراً مدينتي
يا أيها الغريب ..
الطارق باب مدينتي
لاقري عندي أهديه ولا ماء
فماء الخيران آسن
والبهائم قد أهلكها الضجر في قطعان الرعاة
أقدم لك مفتاح مدينتي
ليس من الذهب المفتاح ..
وليس فضة مفتاحها : مدينتي
مفتاح مدينتي من طين
خلاصة الخلاصة من طمي النيل
ورمل الصحراء ..

فخذه ..

خبئه بقلبك وادفنه

ثم عد الينا ثانية

وأدر المفتاح فى أبواب المدينة العريضة مثل الأمل

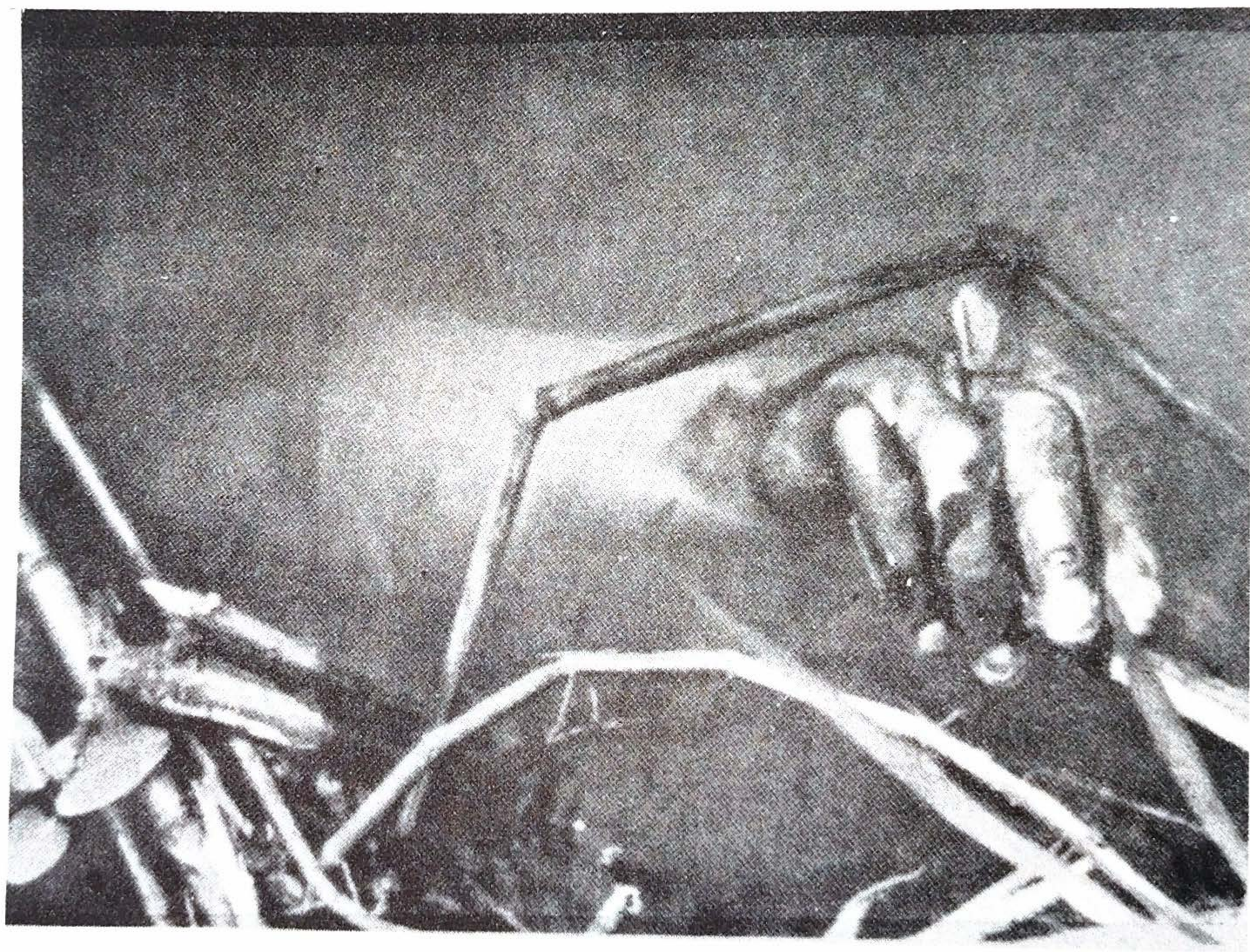
وعندها سيتحطم المفتاح ، .ويتفتت ذرات

ثم عد الينا ..

نعطيك مفتاحاً آخر ..



جاء الصبية للنهر ..
 سبحوا فيه ولعبوا
 ثم اصطادوا سمكة ..
 قال النهر : بل اغتالوا سمكة ..
 كانوا ستة صبيان
 عادوا أسيانين إلى الحى وهم خمسة ..
 قال النهر : أخذوا منى روحاً ..
 آخذ منهم روحاً ..



الترم الأحياء الصمت

ها قد جاء زمان يتكلم فيه الموتى ..

قال الأول : مزقنى المدفع فى كررى ..

وقال الثانى : أهلكنى الجوع بصحراء العتمور

(وقبرى مثل قبر حرب فى مكان قفر)

وقال الثالث : متُ من العشق الفارغ واللوعة ..

وقال الرابع : قد هشم رأسى التُّركُ الأفظاظ

حسناً : هاكم أحكام القاضى العادل :

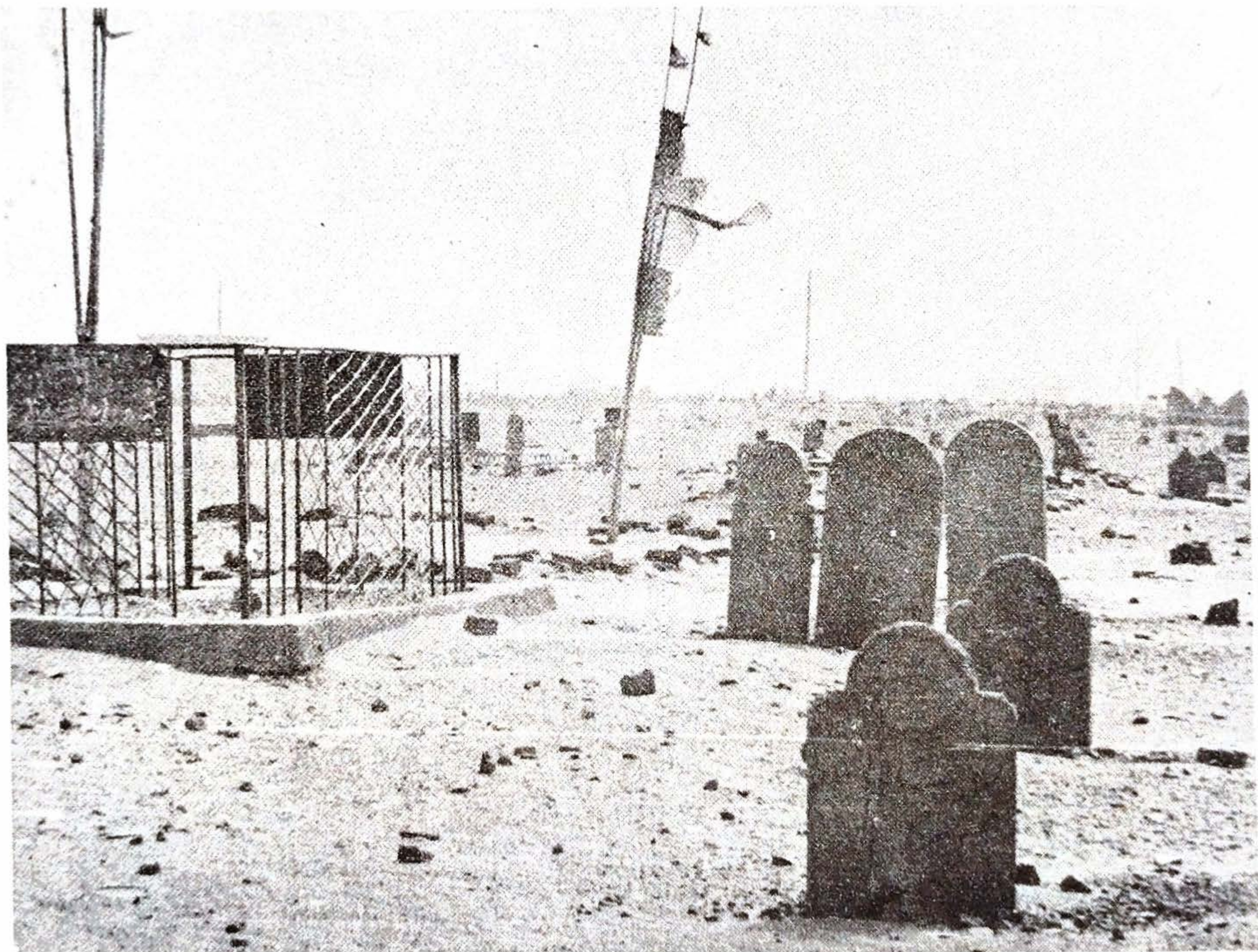
الأول : لايعتبر شهيداً

والثانى : قد يدخله الله الجنة كى يشبع من ثمر الجنة

ومن بعد الجنة يُلقى فى النار

والثالث : فليهنأ بالعشق الفارغ واللوعة ..

والرابع : تجُمع منه رموش العينين ، ولحم الخدين ، وشعر
الرأس ، وعظام العنق ، ثم يُسَوَّى إنسانا ..
ويُرَدُّ إلى ظُهر (البكماء)
كى يضربه التُّركُ
ويقتله التُّركُ
وبعد الموت الثاني
قد نصدر فرمانا ونقول :
فليرحمه الله ..
مات شهيداً
مات شهيداً



يا أهل المدينة .. ابشروا
 بالرخاء جئكم ..
 فالمشوار من محطة مكى : لمحطة مكى
 يأخذ كل ضياء العينين ..
 والوعد بالوصال
 بماء الوجه يُشترى ..

سألتيني أن أحدثك عن بلدى
 لو ني شَحُب ..
 كأنك سألتيني أن أتحدث عن نفسى
 ليس فى سيرتي ما ينجل
 ولا فى سيرة بلدى ..
 الحقُ إنها أسيانةُ
 وإنها لمجهدة ...
 النسوان بها فى الحيشان حبيسات : بلدى
 وبيوتها القصيرة أقزام بيوت ..
 وأهلُها : البيوت والبلد يبحثون عن شىء ما
 فى الطرقات يهيمون ..
 يصلون الفجر حاضراً ..

وينطقون بالشهادتين ..

ويحجون البيت إن استطاعوا وإن لم يستطيعوا
ويُزكّون ..

يصومون رمضان — قلقاً — ويلعبون في نهاره الورق
ومنهم من يغشى حلقات الأذكار ..
ومنهم من ينشل في مولد النبي ..
يكرمون الضيف ..
ويبولون قائمين ..

مثل هذه العمائر ليست من سمات بلدى
ولا ساكنيها : العمائر

حقاً إن هذا الشحاذ يشبه أحد سرّاة القوم فى بلدى
وعيناك تُشبهان فى خضرتهما ورق الاشجار فى بلدى ..
النيم ، والحمير ، والدليب
فيهما من الأوراق دمة الندى ..
وفيهما خوف وفيهما الأسى :
أن يأتي الحفاف بغتة ..

ووجهك كصباح صيف ..
وهذا كل ما أذكره
فإني في حضرتك أنسى كل شيء
الآن بلدى ..

كلماتك ..
 عسل (أمادي)
 فيه شفاء للناس
 كلماتك ..
 شربة ماء في تيه الصحراء ..
 أنت النهر الفيض العاتي ..
 النهر الثرثار ..
 خليل فرح ..
 أنت الوطن ، الأرض
 أنت الجامع في ساحة أم درمان
 وأنت الفن وأنت الثورة
 ما زلت أغني كلماتك في أذنيها وأقول :

(عازة قومى كفاك نومك)

خليل :

وا أسفى ..

عازة لم تسمع ..

نَمْشَ الْجَرَادُ الْأَرْضَ فَيْكَ نَمْشًا (١)
 طَعَامُنَا فَيْكَ جَشِبٌ (٢)
 فَأَهْلَاتُكَ فِي كَوَفَانٍ (٣)
 تَقْفَعِيلٌ أَنَامِلِي حِينَ أَرَى فَقَرَاءَ قَوْمِكَ فِي الشَّتَاءِ (٤)
 وَإِنِّي أَذْكَرُكَ حِينَ أَذْكَرُ قَوْلَ الْآخِرِ :
 « وَبَلَدٌ عَامِيَةٌ أَعْمَاؤُهُ كَأَنَّ لَوْنَ أَرْضِيهِ سَمَاوُهُ
 أَيَّهَاتَ مَنْ جَوَزَ الْفَلَاةَ مَآوُهُ يَحْسِرُ طَرْفَ عَيْنِهِ فِضَاؤُهُ » (٥)

(١) نمش الجراد الأرض أي أتى على ما فيها

(٢) الجشب هو الغليظ

(٣) العبارة تعني أن أهلك في أمر مكروه شديد .

(٤) تقفعل أي ترتعد من برد أو كبر .

(٥) البتيان من أَرْجُوزَةٍ لرؤية والمعنى : رب بلد عامية أي ذات عمى ، أعماؤه

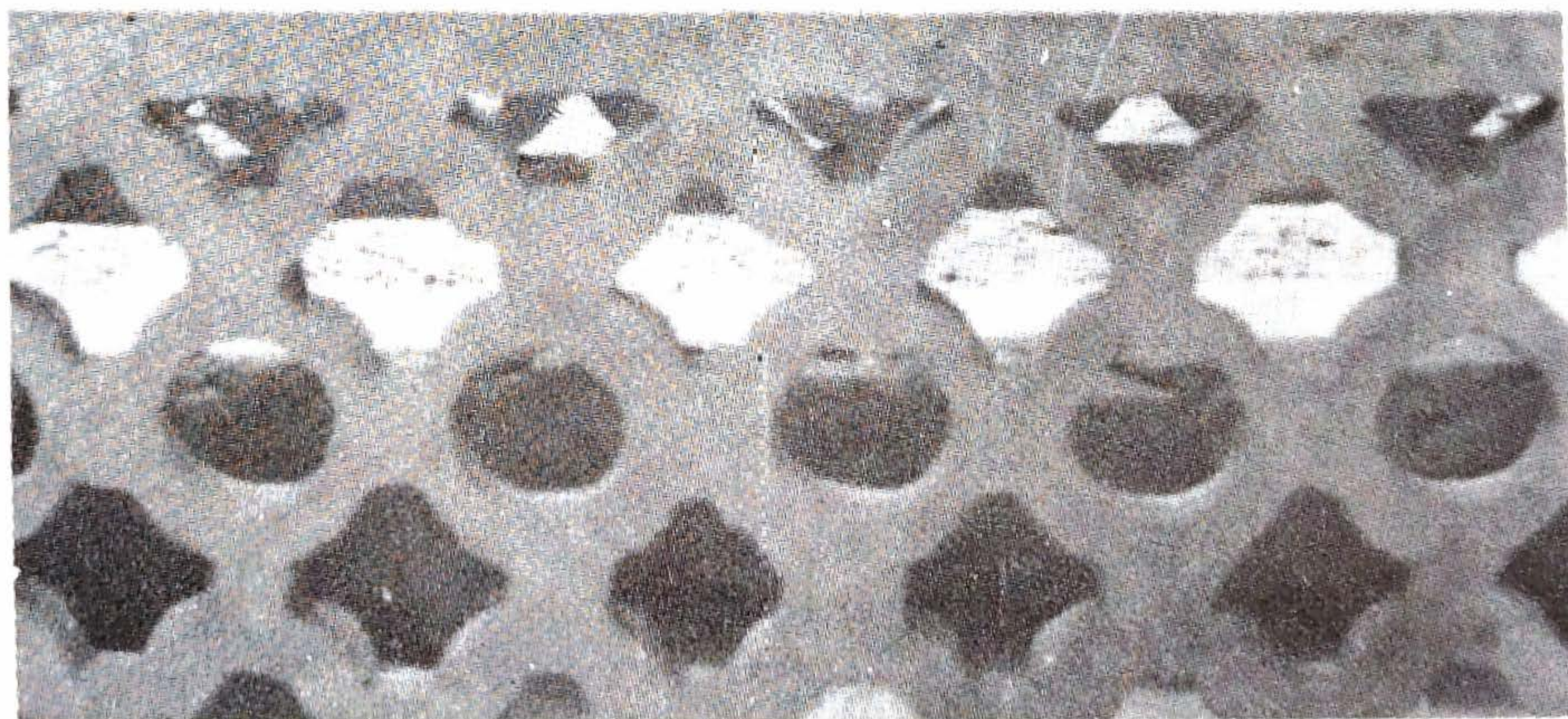
اغفاله والمعنى رب بلد أَرْجَاؤُهُ خافيات . أيهات تعني هيهات ، جوز تعني =

آه ..

«لَا تَهَنَّا ذَكَرَى بُلْهَنِيَّةِ الْعِشِ
وَأُنِيَّ ذَكَرُ السَّيْنِ الْمَوَاضِي» (١)

= وسط والفلاة الصحراء والمعنى ان الماء بعيد عن وسط صحرائه . (يحذر
طرف عينه . .) تعنى ان فضائه يرد طرف العين حسيماً . وتفسير بيتي
رؤية للدكتور عبد الله الطيب في مقالته (شرح ارجوزتين لرؤبة) .
(١) البلهنية: رغد العيش، والبتيان للطرماح بن حكيم من قصيدته التي مطلعها:
قل في شط نهر وان اغتماضي ودعاني هوى العيون المراض . .

حين قَضَتْ سعدية (الفاتية)
 لبست الفضيلة الأ كفان
 تصدعت أعمدة الزمان
 ووقف السُّكاري دقيقة
 متأملين في نواذر القضاء والقدر
 وانتحرت قوارير (الشيرى) على الأفواه
 ثم قالوا : ليس عيباً
 إن فتحت امرأة فخذها بعرض الليل والنهار
 إنما العيب ..



لقيتُ اليوم : من كانت (بدور القلعة) (١)
 لقيتُ اليوم : من كان (يستر الشَّعْرُ أقدامها)
 لقيتُ اليوم : من كانت (ساكنة الجوف في مدينة الضرا)
 صالح عبد السيد يا أبا صلاح :
 ذبلت عيناها
 شاخت نضارتها
 جف ماء وجهها
 أحقا يبقى الشعر
 وتفنى الملهمات ؟

(١) من أغنية [العيون النوركن بجهر] للشاعر صالح عبد السيد ابوصلاح .

(يا مطيرة صبي لنا في عينينا)
 (يا حسن دَوَّر)

(كيل يا ميكائيل بالربع الكبير)
 صلاة استسقاء يرفعها الصبيان ..
 العَهْدَةُ^١ جاءت (١) ..

هدمت بيتين

وهدمت مدرسة الأولاد
 وننتظر الرَصْدَةَ^(٢)

(يا مطيرة صبي لنا ..)
 (كيل يا ميكائيل ..)

(١) العهدة أول مطرة

(٢) الرصدة المطرة الثانية

إجعل باطنها ظاهرها
ولتفطر أنحاء الأرض بدمع الأمطار
تفتحُ السماء أبوابها ..
لصلاة استسقاء يرفعها الصبيان ..

قال لى حكيم الحى :
 « فلتنبذ دعة العيش
 والحياة الهينة
 قد تُصلحك جشابةُ الطعام
 ونزع اللحم عن العظام »
 صدقتُ قولة الحكيم
 وقفت فى وجه الريح النار ..
 النار الريح ..
 فشقت الرياح صدرى
 وسقط عن جوفه قلبان

حبيبتى تحب نفسها
 إسمها فى الحارة : المصباح
 وأمها تنادىها : قمر
 وهى تحب نفسها كثيراً
 شفتنى فى ضوء الشمس الباهر
 ثم جعلت قلبى فى ماء مالح أجاج
 وقالت :
 أريد منك أن تذوب فى الهوى تماماً

من يُنكرُ منكم كرامات صاحب (البيان)
 فليأت في منتصف الليل إلى البيان
 ذلك أن سابلة النهار يُفسدون الكرامات
 والكرامات لصوص وأشباح ..
 لا تظهر إلا في الليل ..
 والكرامات خفافيش ..

الشمس فى ساحتك الوسيعة
 ثرية صفراء من بللور
 والرمل والتراب فيك أبسطة
 والحصى سجادة سخية الألوان من (تبريز)
 واننا بحبنا لك
 وشوقنا إلى ساحتك الوسيعة
 'نشيد' فيك مئذنة تطاول السحاب
 يا جامع الخليفة ..

شحاذا ءمىم الوجه حل بالهى فى الصبأ
 و كان أءمء الاسكاف زائف البصر
 من (سكرة) باللىل ..
 « كرامة لله .. » قال
 رء أءمء الاسكاف ..
 « الءالق رازق

ولبمض عنى يكفر يومى إء أراك فى الصبأ »
 « كرامة لله » قال ..

« لو كنت جمىلا أعطىناك » قال أءمء الاسكاف
 « الله العاطى » همهم الشءاذا

« والمانع أىضاً » قال أءمء الاسكاف
 « ىرزقنا الله » غمغم الشءاذا بعء بأس ..

قال أحمد الاسكاف ..

« الله جميل يحب كل جميل ..

الا ترى بأن فيَّ شيئاً من صفاته : الآله » ؟

وكان في حارتنا فتاة حلوة
كأنها حورية ..

واسمها سعاد

كنت أظن أنها تحبني ..

تخصني بعطفها ..

ولقد زُفَّت إلى ابن عمها

وأسمه حسين

ولم نكن في ذلك الزمان ندري ما هو الحب

وما الغرام ..

ولكنها لم تكن تصرخ ليلة زفافها ..

هـذا عصر النهضة يبعث حياً
تعلمنا

وكتبنا سور القرآن على الألواح
ومن الطوب الأخضر شيدنا تمثالاً
في ذكرى من ماتوا جوعاً في (العباسية)
رسمنا (عشاءنا الأخير)
على سقف جامع (عبد الغفار)
وعلى جدران كنيسة مار جرجس
علقنا رسم أبي ذر ..
والموناليزا ..

تبيع الفول (بحى الشهداء)



شاراتكم الخضراء ، الصفراء ، الغبشاء
 بيارقكم سامقة تبصق فى وجه الريح
 (الحولية) الحميس القادم
 جوقات الإنشاد ، الطبل الهدّار
 مدائحكم وحفظناها
 (الفولية) فيها طعم العام الماضى *
 نريد أن ننام ..

نوع من الحلوى مرتبط باحتفالات الموالد

جارتنا هي فاطمة السمحة ..
 وإن سألت عن بيتنا ..
 فهو قديم قدم دارها
 والجدار متيمٌ بالجدار
 ود النمير أنا ..
 حصاني خشبي الأعضاء ..
 قلبي من طين ..
 وسيفي من صلصال
 هذا شتاء يطول
 وتقصر ليلاته ..
 دثاري كفن أحمر في هذا الليل العاصف
 ولتضحك يا شجر النيم ..

وليفتر ثغرك عن أسنان النمل ..
فالحب مقيم في ظل الأمل المنهار
فاطمة السمحة جارتنا
ود النمير .. أنا ..

فقراء الهند ينامون على حشيات المسامير ..
 الناس في مدينتي :
 لا ينامون

ذَهَلْتُ عَنْهُ ..
أُنْسِيتُ ذَكَرَهُ ..
صَدِيقِي .. حَبِيبِي ..
ذَاكَ الَّذِي مَاتَ بِالْحَسْرَةِ وَالضَّحْكَ الْمَفْجِعِ
مَا عَدْتُ أَذْكَرُهُ
لَأَنْنِي آثَرْتُ أَنْ أَحْيَا بِحَسْرَتِي ..
وَالضَّحْكَ الْمَفْجِعِ ..

كلما التقينا

يمسى الزحام أشد

أقدام تسعى فوق الأقدام

والرءوس تصادم الرءوس والجدران

فهنا تسير الشوارع بلاسمان

والأ نذال . .

تخاصرنا الأ نفاس

تفز عنا مواكب الحراس

ها قد أصبح الهواء عزيزا

فهذه مدينة ثانی اوكسيد الكربون . .

والسايوناید .

هيا بنا الى مكان بعيد . .

مكان فسيح . .

حدوده سراب . .

تراب أرضه ملح . .

وشمس تشرق حين تراك

شمس الشموس يا أنت . .

هيا . . .